لُغَةُ القُرآنِ الكَريمِ وَنِظامُ الفَواصِلِ

(في سُورتي النُّور والأَحْزاب)

أ.م.د. كبرىٰ رَوْشَنفِكر أ.م.د. خليل پروييني سعيدة مميزي راضية سادات الحسيني

(جامعة تربيت مدرس –كلية الآداب– طهران)

فحوى البحث

بحث بلاغي توثيقي يقف عند سورتين كريمتين هما: سورة النور وسورة الأحزاب ببحث جانب بلاغي –لغوي فيهما هو: نظام الفواصل. و يَعُدُّ ذلك اسلوباً ايقاعياً تبرز فيه روعة الأداء و النغم الموسيقي بما فيه من سحر و بيان و انسجام صوتي و تناسق فني.

و قد استعمل الباحثون اسلوب مباشرة المصدر المعلومة التي تَرِد في ثنايا البحث من دون ترتيبها ضمن هامش مرقّم. و هو أسلوب بحثي معتمد في كثير من الجامعات العالمية.

الملخص:

القرآن الكريم يمتاز بأسلوب إيقاعي تبرز فيه روعة الأداء و النغم الموسيقى بما يملؤه من سحر و بيان و انسجام صوتي، و تناسق فني بين كلماته و آياته.

والفواصل القرآنية تعد من أبرز الظواهر التى جاءت عليها صور النظم القرآني، من حيث التزام رؤوس الآى التزاماً مطرداً بالحرف نفسه (كما كانت فى سورة الأحزاب) أم بحرف يشاكله و يقارب مخرجه(كما كانت فى سورة النور)، فنجدها تساعد على الترنم. هذا من جهة، من جهة أخرى لم تكن الفواصل القرآنية متكلفة، أو مجتلبة بلا معنى و إنما جاءت الفواصل محكمة تتطلبها المعانى و تتسبك في التركيب.

أما حول سبب اختيارنا سورتي النور والأحزاب للدراسة هذه فيمكن أن نقول: كلتا السورتين مدنيتان، و كلتاهما مملوءتان بالمباحث الفقهية و العقلية التي يعبّر عنها باللغة اليابسة، مع ذلك يوجد هناك نظام للفواصل ذو دقائق دلالية و جمالية وأسلوبية اكسبتها الروعة الموسيقية.

فنحن باعتماد المنهج الوصفي-التحليلي وجدنا أن الفاصلة فى آيات السورتين الفقهية ذات جوانب جمالية ودلالية نراها ضمن تناسق الفواصل وتجانسها، نظامها وتكرارها، رعايتها وعدولها.

الكلمات المفتاحية:

سورة النور، سورة الأحزاب، الموسيقى، الفاصلة.

١- المقدمة:

من أساليب القرآن الممتعة، وتراكيبه الرصينة المبدعة فواصله والفواصل!. جمع فاصلة، والفاصلة في القرآن: هي آخر كلمة في الآية، وهي بمثابة السجعة في النثر، وبمنزلة القافية في النظم (انظر: محمد، ١٤١٧هـ. ٧٥٢)، وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآيتين و إن القرآن الكريم -مع بالغ عنايته، وعظيم اهتمامه بالمعنى الدقيق، والهدف النبيل، والفكرة العميقة، والأسلوب الفذ والتركيب الرصين -لم يغفل أمر الفواصل، بل يعتني بها أيَّما عناية، فيجعلها متناسبة متكافلة، متناسقة متآخية، لا متنافرة ولا متباينة،

ومن أجل ذلك يخرج عن مقتضى ظاهر الأسلوب في بعض المواطن. (ا: خرقانى، حسن، ١٣٧٥هـ، ٢٨ -٣١/ حكيميان، ابو الفتح، ١٣٨٣، ٢٢).

فالآيات يُفصَل بعضها عن بعض بفواصلَ، إلا أن هناك علاقات قائمة بين الآية والفاصلة، فمنها الفاصلة المتممة لمعنى الآية التي اشتملت عليها، أو مُجمِلة لمعنى مؤكدة إياه، هذا ما يختص بالمعنى، أما من حيث وقعها السمعي الناشئ من الألفاظ، فهي ذاتُ ملامحٍ صوتيةٍ لافتةٍ، قد تعدل بعض الأحيان من صيغة إلى أخرى لتحقق توازنا و توافقا صوتيا يمثل جانبا من جوانب الجمال الصوتي يمتع النفس(عبد الرحمن، ٢٠٠٦م، ٤٧)، فرعاية الفاصلة «لون من الجمال الموسيقي المؤثر وهو مما يقصد إليه النظم الكريم أخذا بالآذان والقلوب» (الخضري، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ٣٢٣/ نقلا عن: عبد الرحمن، ٢٠٠٦م، ٤٧) و ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة الأبعاد الذي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه. (الرافعي، ١٩٦١، ١٨٤).

فبعد دراسة نظام الفاصلة فى سورتي النور و الأحزاب -و هما سورتان زاخرتان بالمسائل الفقهية العقلية -بالمنهج التوصيفي -التحليلي وجدنا أنه ذو دقائق جمالية و تناسبات دلالية على رغم وجود أسلوب بياني خاص للأحكام الفقهية و هو أسلوب منطقي يابس. هذا الأمر دفعنا إلى تناول هذه الظاهرة تناولاً مستقلاً فى ثنايا البحث و من نواح شتى هي: نسق الفواصل، رعايتها و عدولها، و تجانسها، ثم تكرارها. فالفواصل في هاتين السورتين قد جاءت فى غاية الانسجام و التلاؤم مع التركيب و الصياغة، فلم نشعر بزلل جراء المحافظة على الفاصلة و التزامها.

١-١- الأسئلة:

- كيف كان نظام الفواصل فى سورتى النور و الأحزاب؟.
- أية دقائق جمالية نجدها فى فواصل السورتين؟.
- كيف ترتبط الدقائق الجمالية بالدقائق

الدلالية في فواصل السورتين؟.

١-٢- خلفية البحث:

هناك بحوث كثيرة في الفواصل فى القرآن الكريم جاء أكثرها عاماً منها:

«تناسب الفواصل القرآنية» لأحمد اسماعيل عبدالكريم، فهو بعد تعريف كلمة «تناسب» لغوياً و اصطلاحياً، عالج التاثير الموسيقى للفواصل ثم ارتباطها ببنية الجملة نحوياً و تركيبياً و دلالياً.

مقالة «قضايا نحوية حول التناسب فى الفاصلة القرآنية» طبعت فى مجلة العرب، فهى بعد معالجة معنى الفاصلة و دورها فى القرآن الكريم، قد درست أقسام العدول النحوية رعاية للفواصل.

«الفاصلة وبداعة الأسلوب» للسباعي بيومي؛ وقد عالج فيها الفاصلة من جوانب مختلفة منها: اتصال الفاصلة بمعنى آيتها، إرشاد الآية إلى فاصلتها، اختلاف الفاصلة باختلاف الألفاظ أو السياق، مجيء بعض الفواصل على خلاف مقتضى الظاهر، التصرف للفاصلة مع المحافظة على المعنى، و التناظر بين فاصلة و فاصلة أخرى.

«فواصل الآيات بين المعنى و النغم الموسيقى» لرمضان عبد التواب، و قد عالج فيها المؤلف قضية العدول لرعاية الفاصلة و ردها.

«مناسبة الفواصل القرآنية و علاقاتها بآياتها» لمحجوب الحسن محمد، و قد عالج مناسبة الفواصل من جهات متنوعة منها: أنواع الفواصل و جمال إيقاعها، تمكُّن الفاصلة و استقرارها، تنوُّع الفواصل مراعاةً للغرض، اختلاف الفواصل و اتفاق الصدور، إيثار لفظ على آخر، رعاية الفاصلة، أسماء الله الحسنى.

«الفاصلة و ختام الآية» لمحمد عبد المنعم القيعى، و قد عالج فيها الفواصل فى القرآن الكريم بصورة كلية.

«موسيقى الفاصلة» لعبد العزيز سيد الأهل، فهو قد تناول دور الفاصلة فى روعة الموسيقى القرآني.

«لغة القرآن الكريم؛ من أسرار الفواصل» لعلي محمد حسن، فقد سعى المؤلف الى أن يكشف بعض الأسرار الموجودة فى فواصل القرآن الكريم.

و وجدنا دراسة جزئية تطبيقية

لفواصل سورة واحدة و هى مقالة «فواصل سورة مريم دراسة لغوية شاملة» لعلي أحمد طلب وقد عالج فيها فواصل سورة مريم شكلياً و إحصائياً و أغفل الجانب الجمالى الدلالى.

٢- التعريف بسورتي النور و الأحزاب:

سورة النور من السور المدنية (الصابونى، د. ت، ج٢، ٣٢٤/ الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ج١٥، ص: ٧٧/ ابن عاشور، د. ت، ج١٨، ص: ١١٢) التي تتناول الأحكام التشريعية، و تُعنى بأمور التشريع، و التوجيه و الأخلاق، وتهتم بالقضايا العامة و الخاصة التى ينبغى أن يُربى عليها المسلمون أفراداً و جماعات، و قد اشتملت هذه السورة على أحكام هامة و توجيهات عامة تتعلق بالأسرة، التي هي نواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر. (الصابونى، د. ت، ج٢، ٣٢٤).

وسورة الأحزاب مدنية (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص: ٥١٨/ فضل الله، ١٤١٩هـ، ج١٨، ص: ٢٤٥/ الطوسي، د. ت، ج٨، ص: ٣١١/ ابن عاشور، د. ت، ج٢١، ص: ١٧٥) و سياق آياتها يشهد بها (الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ج١٦، ص: ٢٧٣) و هي التسعون في عداد السور النازلة من القرآن، نزلت بعد سورة الأنفال، و قبل سورة المائدة. (ابن عاشور، د. ت، ج٢١، ص: ١٧٥) «ويمكن أن نلخص الموضوعات الكبرى لهذه السورة الكريمة في نقاط ثلاث:

أولاً: التوجيهات والآداب الإسلامية.

ثانياً: الأحكام والتشريعات الإلهية.

ثالثاً: الحديث عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة. (الصابونى، د. ت، ج٢، ٥٠٩).

٣- دراسة فواصل السورتين:

الفواصل فى السور نوعان: متماثلة ومتقاربة؛ فالفواصل المتماثلة هى التى اتحدت أواخر كلماتها. وأما الفواصل المتقاربة فهي التي تقاربت أحرف كلماتها، ولم تتحد. (طلب، ١٤٢٢هـ، ٢٢٤)، ففواصل سورة الأحزاب من النوع الأول، و فواصل سورة النور من النوع الثاني.

و"قد ارتبطت الفواصل القرآنية بمعاني التراكيب و الآيات، فلم يقتصر القرآن على رعاية حسن النظم فحسب، و

إنما كان الاهتمام مع ذلك و قبله بالمعنى". (بلقاسم، ٢٠٠٩م، ١)، و لذلك نرى في بعض المواضع يتركب نوعان أو ثلاثة أنواع من الفواصل، فعلينا في تناول الفواصل أن نعتني بالدلالة والسياق أولاً، ثم القواعد لكي يتعين أسلوب القرآن في استعمال الفواصل، فلا خلاف في أن الكشف عن علاقة الفاصلة القرآنية بالسياق الدلالي قد يظهر في مواضع و يخفى في مواضع أخرى.

٣-١- أسلوب الفاصلة في سورة النور:

إذا أردنا أن نوضح الميزات الأسلوبية لفواصل سورة النور فعلينا أن نتطرق إليها ضمن هذه الاقسام: نسق الفواصل، مراعاة الفواصل، الإنزياح، و التجانس.

٣-١-١-نسق الفواصل

حروف الفواصل في السورة تكون من نسق الحروف المجهورة، و هي حروف النون، و الميم، و الراء، و الباء، و اللام. و لكن لا تقتصر هذه الشبكات العلاقية الصوتية على التماثل في صفة الجهر، بل بينها علائق صوتية أخرى تزيد من تلاحمها في النسق الصوتي الذي سنبيّنه ضمن مرحلتين:

أولاً: دراسة نسق الفواصل من أول السورة إلى الآية ٣٥ وهي: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿مُّبِينٌ﴾ ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿كَرِيمٌ﴾ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿يَصْنَعُونَ﴾ ﴿تُفْلِحُونَ﴾ ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿عَلِيمٌ﴾

فقد برز في هذه الفواصل صوت الغنة (المولَّدة من النون والميم) الذي ينجم عن خروج الهواء من الأنف، من دون انتظام، فيقول أحد الباحثين حول دلالة الغنة «كثر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد واللين، والنون، والميم، وحكمة وجودها التمكن من التطريب». (المنشاوى، ١٩٦١م، الهوامش و التعليق،

١٨٥) فنحن نرى ملمحا آخر يجمع بين الصوتين (الميم و النون) وهو ملمح الجهر، إذ يتذبذب الوتران الصوتيان في نطقهما، كما أن مخرج النون لَثَوِي، ومخرج الميم شَفَوِي ثنائي، وهما مخرجان متقاربان مما يضفي على الصوتين تقاربا آخر، فيقول بعض الباحثين حول تجميع هذه الصفات الصوتية المذكورة فى الميم و النون «إن العنقود الصوتي الذي جمع بين الميم والنون قد اشتمل على علائق صوتية تتمثل بالغنة و الجهر و التقارب في المخرج، وهذه العلائق تحول اختلاف الصوتين إلى تماثل في الملامح الصوتية وتقارب في المخرج». (عتيق، د. ت. ٦).

فكل شيء ذكرناه حتى الآن يرتبط بالفائدة الموسيقية للفواصل، و لكن حول الفائدة الدلالية قد قيل "النون صوت يتمتع بقوة الوضوح السمعى لذا فهى تشبه الحركات (Vowels) لأنّ الهواء معها يتحرر من الأنف مثل الميم (محمد على، ٢٠١١م، ١١١) مع ذلك فان الميم شفوي و النون لثوي، و «كان الأصل فى مخرجهما أن النون من طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا، و مخرج الميم من بين الشفتين» (ابن جني، ٢٠٠١م، ج١، ٥٢) فضُمَّت الشفتان فى تلفظ الميم ثم فُتحتا معاً، و كل هذا يسبب كون الميم ذا قوة، و هيبة أكثر بالنسبة الى النون، على هذا الأساس يمكننا أن نقول حينما يدور القسم الإنتهائى للكلام حول الله عز و جل (أقواله، أفعاله، صفاته)، يستفاد من الميم كفاصلة؛ مثل ﴿هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾[١]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٞ﴾، ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٢] وحين يدورالكلام حول الإنسان يستفاد من النون ايضا؛ مثل: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾[٣]، ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾[٤]، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾[٥] فبهذا المنهج يمنح السياق

(١) هذا قول الله، و يدل على الشدة أيضاً، فلذلك قد أُستفيد من الميم.
(٢) "عذاب عظيم" فعل الله، و يحتاج بالشدة، لذلك يُستعمل الميم.
(٣) الكذب هو صفة المخلوق
(٤) تكون الجملة حول صفة الله و لكنها تُدرَك من جانب المخلوق، فيُستعمل النون فاصلةً لأنّ بيان الله عن صفاته يختلف عن بيان المخلوقين.
(٥) كلمتا «تُبْدُونَ» و «تَكْتُمُونَ» تشيران الى فعل الإنسان.

الصوتي خاصية إيقاعية ذات طاقة تأثيرية على المتلقي؛ و تناسُب الأصوات مع المعنى وفق النسق المتقدم ترتاح إليه الأذن.

ثانياً: دراسة نسق الفواصل للآيات ٣٤ -٣٧ و ٤٠ -٦٤؛ فتتابعت فيها الأصوات المائعة والمجهورة (النون، و الميم، و الراء، و اللام)؛ ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ﴿ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ فيجمع علماء الأصوات واللغويون أصوات النون والميم واللام والراء في حزمة صوتية واحدة و يطلقون عليها الأصوات المائعة الرنانة (أنيس، ١٩٨٤، ٢١٨) أو أشباه الحركات.

ففي الآيات (٣٤ -٣٧/ النور)، تُذكر الأصوات الأربعة بهذا الترتيب: النون، الميم، اللام، و الراء؛ فجاء النون و الميم بشكل تتابعي و تكلمنا سابقاً عن علاقتهما، و اما بين اللام و الراء فهناك علاقة صوتية تبادلية أيضاً كما قيل «أما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام لمزية دمجها في ظهر اللسان عند الكلام، ولقرب مخارجها يبدل بعضها من بعض». (الأندلسي، ١٩٨٦م، ٢٥) مثل ربد و لبد أي أقام، و ركد و لكد أي لزم وسكن، و رمز و لمز أي أشار، و جرف و جلف أي قذف و أبعد .(أنيس، ١٩٨٠م، ١٨٩) و الراء لا يُدغَم في الأمثلة القرآنية إلا مع اللام بسبب قرب المخرج مع الاتحاد في الصفة؛ لأن كلا منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة (أنيس، ١٩٨٤م، ١٩٨ -١٩٩) و أيضا تحققت بين اللام و النون علاقة تبادلية و قال ابن جنى: "وأبدلوا اللام من النون في (أصيلان) فقالوا :أصيلال (ابن جنى، د. ت. م٢، ٥) وما كانت لهذه العلاقات المتبادلة بين الأصوات المشار إليها أن تتحقق لولا التقارب المخرجي والتماثل في الملامح الصوتية، و هذا التماثل و التقارب يسبب تناسباً و إنسجاماً ايقاعياً فى هذه الآيات.

٣ -١ -٢-مراعاة الفواصل

«قد ذكر بعض العلماء أن نظم اللغة القرآنية قد خرج عن أصله في بعض الموضوعات مراعاةً للفواصل القرآنية، و فواصل ذاتِ ملامحٍ صوتيةٍ لافتةٍ،

قد تعدل في بعض الأحيان عن صيغة إلى أخرى لتحقق توازناً و توافقاً صوتياً يمثل جانباً من جوانب الجمال الصوتي يمتع النفس» (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م، ٤٧) فنحن نشاهد هذه الرعاية الموسيقية للفواصل مقترنة بتخطي القواعد اللغوية. فرعاية الفاصلة» لون من الجمال الموسيقي المؤثر و هو مما يقصد إليه النظم الكريم أخذا بالآذان والقلوب (الخضري، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ٣٢٣/ نقلا عن: عبد الرحمن، ٢٠٠٦م، ٤٧)؛ فعلى سبيل المثال نحن نرى تقديم المعمول على العامل في قوله –تعالى –؛ ﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾، ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾. أو تقديم المفعول على الفاعل: ﴿ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

٣ –١ –٣–إنزياح النسق الصوتي أو العدول في سورة النور:

من الظواهر الصوتية في نسق الفواصل القرآنية خروج فاصلة واحدة عن النسق العام للسورة، أو لمنظومة الآيات، وقد يكون خروجها عن النسق في بداية السورة أو في ثناياها أو في نهايتها. (عتيق، د. ت. ٩) «و يعد العدول الصوتي، أداةً جماليةً، غايته جذب الأسماع من خلال خرق قوانين اللغة النموذجية، أو كسر الإيقاع، و ذلك لرفع الرتابة عن المتلقى بوساطة التنوع و المراوحة بين الكم التنغيمى أو المغايرة الإيقاعية»(بلقاسم، ٢٠٠٩م، ١).

نحن نرى نوعاً من هذا الإنزياح فى الآيتين ٣٨ –٣٩ عند مجيء حرف الباء المجهور الانفجاري بين الأصوات المائعة (اللام، الراء، النون، الميم). يمكن أن يرجع سبب الاتيان بهذا الحرف المجهور إلى سياق هاتين الآيتين الذي يدور حول الثواب و العقاب هو جلب انتباه القارئ ويُستفاد من حرف الباء للتناسب مع المعنى و السياق.

من الموارد الأخرى للانزياح استعمال حرف الميم كفاصلة فى نهاية الآية ٢٣ من سورة النور ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ و هذا على رغم سياق الآية و هو التكلم حول عذاب يوم

القيامةً، فللاستدلال على هذا الانزياح يمكن أن نشير الى نقطتين:

١. في هذه الآية يدور الكلام حول عقاب إثم واحد، و لكن فى آيتى ٣٨ و ٣٩ يدور القول حول الثواب و العقاب للمؤمن و الكافر، فعلى هذا يمكن أن نقول إنّ جزاء الذنوب التى يرتكبها الانسان فى كل حياته أشد من جزاء فعل واحد.

٢. كانت الفاصلة من أول سوة النور إلى آية ٣٥ حرفى النون و الميم فقط، و جاء النون فى التكلم عن فعل الناس و قولهم و الميم فيما يتعلق بالله تعالى، و العذاب الأخروى كان من فعل الله و لذلك ذُكر الميم كفاصلة إتباعاً للنظام الجارى في الفواصل، و الميم بالنسبة إلى النون ذو قوة أكثر كما قلنا في السابق.

٣-١-٤-التجانس:

تبرز ظاهرة إيقاع التجانس اللفظي في كلمات الفواصل المتتابعة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، و نعني بهذه الظاهرة ما يعرف بالجناس اللفظي التام، و أيضاً نعني التجانس اللفظي الذي يَصطلح عليه البلاغيون باسم «الجناس الناقص». فالهاشمى عند تقسيم الجناس و تعريف أنواعه يقسمه على الجناس التام و هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان فى أربعة أشياء: نوع الحروف، و عددها، و هيئآتها الحاصلة من الحركات و السكنات، و ترتيبها مع الاختلاف فى المعنى؛ و الجناس غير التام و هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد أو أكثر من الأربعة السابقة. (الهاشمى، ١٣٨٧، ٣٢٤، ٣٢٧).

التجانس التام في فواصل الآيات ١٤-١٥ -١٦:... ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾... ﴿ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾... ﴿ بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ فالعظيم فى الآية الأولى بمعنى «شديد» و فى الثانية بمعنى «غير ممكن للصفح» و فى الثالث بمعنى «عظيم أو كثير القبح». و أيضاً نرى الجناس الناقص فى فواصل آيتى ٦٢ و ٦٣:... ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾... ﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فكلمتا «أليم» و «عليم» بينهما الجناس الناقص باختلاف حرف واحد. و هذان الحرفان المختلفان يقومان بالإيقاع التوافقي أيضاً يعنى أن الصوتين

المختلفين في كلمتين ينتميان إلى مجموعة صوتية واحدة، و العين والهمزة كلاهما من الأصوات المجهورة.

٣-١-٥-التكرار:

كان التكرار من العناصر الموسيقية و الإنسجامية و «أشار إليه النقاد القدماء لكونه يخدم القصيدة و يتركها تسبح فى انسجام و تناسق تام، من خلال ارتباط أجزاء الكلام و اتحادها، كما جعلوا للتكرار معانى مختلفة تختلف مع حاجة الشاعر و غرضه». (صالح، ٢٠١١م، ١٧) فنراه موضع الاهتمام فى فواصل السورة حيث نجده كثيراً مثل:

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢] ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾[١٧] ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٧]/ ﴿رَّحِيمٌ﴾[٥-٢٠-٢٢-٣٣-٦٢]/ ﴿حَكِيمٌ﴾[١٠-١٨-٥٨-٥٩]/ ﴿عَظِيمٌ﴾[١١-١٤-١٥-١٦-٢٣] / ﴿مُّبِينٌ﴾[١٢-٢٥-٥٤]/ ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٦-٩]/ ﴿عَلِيمٌ﴾[٢١-٢٨-٣٢-٣٥-٦٠-٦٤] / ﴿تَذَكَّرُونَ﴾[١-٢٧]/ ﴿حِسَابٍ﴾[٣٨-٣٩] / ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٤-٥٥] / ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [٨]﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[١٣]/ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٣٧-٤٣-٤٤] / ﴿تَعْلَمُونَ﴾[١٩] ﴿يَعْمَلُونَ﴾[٢٤]/ ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾[٤٢-٥٧].

٣-٢-أسلوب الفاصلة في سورة الأحزاب:

تناولنا أسلوبها في سورة الأحزاب أيضاً ضمن أقسام: نسق الفواصل، مراعاة الفواصل، الإنزياح، و التكرار.

٣-٢-١-نسق الفواصل:

تظهر المماثلة فى فواصل هذه السورة و يلازمها الألف المدي مع التنوع في الحرف السابق لها، مثل: ...﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾...﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾...﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾...﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾...﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فهذه الظاهرة تسبب النغمة الموسيقية المتكررة الجميلة و لها أثر جمالي نابع من الإيقاع فـ«يحس القارئ والسامع بأنه يقف عند مَعلَم من معالم السياق المتصل تحف به روائع الإيقاع و روائع المعنى» (حسان، ١٩٩٣، ٢٩٧).

اختتام الآيات بالألف المَدّى يعطى

الفرصة للتامل و التأني و الهدوء؛ فالله تعالى يريد هناك أن ينصح عباده و يبين لهم نتائج عملهم، لهذا يأتى بالألف المَدّى في مقطعين متوسطين متتابعين مع الإتيان بحركة الفتحة فى المقطع الأول لكلمة الفاصلة، لكى يمثل و يصور جوّ الهدوء و السكون فيؤثر في المتلقي: حَكِيمًا، خَبِيرًا، وَكِيلًا، رَّحِيمًا، غَلِيظًا، أَلِيمًا، بَصِيرًا، شَدِيدًا، يَسِيرًا، قَلِيلًا، نَصِيرًا، قَلِيلًا، يَسِيرًا، قَلِيلًا، كَثِيرًا، تَسْلِيمًا، تَبْدِيلًا، رَّحِيمًا، عَزِيزًا، فَرِيقًا، قَدِيرًا، جَمِيلًا، عَظِيمًا، يَسِيرًا، كَرِيمًا، خَبِيرًا، و... بصرف النظر عن تكرار هذه الفواصل و بالدقة في هذه الأصوات و تجمعها فقط ندرك أن الإيقاع قد جاء متناسقاً متوازناً يحمل بين ثناياه معاني التأمل و الفرصة.

٣-٢-٢-مراعاة الفواصل:

نحن نشاهد فى هذه السورة رعاية الفواصل أيضاً. من أمثلتها قوله تعالى في ختام الآية ١٠ من سورة الأحزاب وهو ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، وفي ختام الآية ٦٦ في السورة المذكورة وهو ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾، وفي ختام الآية بعدها ٦٧ وهو ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾. فزيدت الألف في ختام الآيات الثلاث (الظنونا، الرسولا، السبيلا) لتتساوى مقاطع السورة كلها، وتتناسب فواصلها، لأن جميع فواصلها أَلِفٌ.

٣-٢-٣-العدول:

الألف يعدّ فاصلة أصلية للسورة، ولكننا نلحظ في آية واحدة، العدول عن هذه الفاصلة و هي آية ٤: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فالفاصلة المقصودة هى كلمة السبيل التي انزاحت عن فواصل الآيات الأخرى؛ فما هو سبب هذا الإنزياح؟. يجيبنا الدكتور فاضل صالح السامرائي بقوله: في بداية سورة

الأحزاب [و في نهاية الآية ٤] جاءت كلمة السبيل بينما قد ختمت ما قبلها وبعدها بالألف، وفي أواخر سورة الأحزاب ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ جاءت كلمة (السبيلا) بالألف، والكلام في هذه الآيات عن هؤلاء في النار و يمدون أصواتهم فيها و يصطرخون، و أما في أول السورة فليس هناك عذاب فجاءت على حالها (السبيل).

٣-٢-٤-التجانس:

نرى التجانس الناقص و ايقاعه أيضا بين فواصل سورة الأحزاب:

﴿ أَلِيمًا ﴾ و ﴿ عَلِيمًا ﴾/ ﴿ مُّهِينًا ﴾ ﴿ مُّبِينًا ﴾ باختلاف حرف واحد. و أيضاً نرى تجانس الحروف الثلاثة (ى، م، ا) في:

﴿ حَكِيمًا ﴾ ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿ أَلِيمًا ﴾
﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾ ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿ عَظِيمًا ﴾
﴿ كَرِيمًا ﴾ ﴿ عَظِيمًا ﴾ ﴿ عَلِيمًا ﴾
﴿ رَحِيمًا ﴾ ﴿ كَرِيمًا ﴾ ﴿ رَّحِيمًا ﴾
﴿ حَلِيمًا ﴾ ﴿ عَظِيمًا ﴾ ﴿ عَلِيمًا ﴾
﴿ تَسْلِيمًا ﴾ ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
﴿ رَّحِيمًا ﴾.

ثم التجانس في (ى، د، ا):

﴿ شَدِيدًا ﴾ ﴿ شَهِيدًا ﴾ ﴿ سَدِيدًا ﴾.

و في(ى، ر، ا):

﴿ خَبِيرًا ﴾ ﴿ بَصِيرًا ﴾ ﴿ يَسِيرًا ﴾
﴿ نَصِيرًا ﴾ ﴿ كَثِيرًا ﴾ ﴿ قَدِيرًا ﴾
﴿ يَسِيرًا ﴾ ﴿ خَبِيرًا ﴾ ﴿ كَثِيرًا ﴾
﴿ وَنَذِيرًا ﴾ ﴿ مُّنِيرًا ﴾ ﴿ كَبِيرًا ﴾
﴿ سَعِيرًا ﴾ ﴿ نَصِيرًا ﴾.

و تجانس الحروف الثلاثة(ى، ل، ا):

﴿ وَكِيلًا ﴾ ﴿ قَلِيلًا ﴾ ﴿ قَلِيلًا ﴾
﴿ قَلِيلًا ﴾ ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ ﴿ جَمِيلًا ﴾
﴿ وَأَصِيلًا ﴾ ﴿ وَكِيلًا ﴾ ﴿ جَمِيلًا ﴾
﴿ قَلِيلًا ﴾ ﴿ تَفْتِيلًا ﴾ ﴿ تَبْدِيلًا ﴾
﴿ ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾.

فهذه الحروف المتجانسة في فواصل سورة الأحزاب أحدثت ايقاعاً جميلاً يساعد في التاثير في المتلقي و تفهيمه.

٣-٢-٥-التكرار:

تشيع هذه الظاهرة شيوعا كثيرا في فواصل سورة الأحزاب فتلعب دورا بارزا في انسجام آياتها و بث الفضاء المتناسق بالمضمون في روح المخاطب. و نشاهده

في هذه الفواصل:

﴿ خَبِيرًا ﴾[٢ -٣٤)/ ﴿ عَلِيمًا ﴾ [٥٤ -٤٠]/ ﴿كَثِيرًا ﴾ [٢١ -٤١)/ ﴿ عَظِيمًا ﴾ [٧١ -٢٩ -٣٥ -٥٣]/ ﴿رَّحِيمًا ﴾ [٥ -٢٤ -٤٣ -٥٠- ٥٩-٧٣] ﴿ قَلِيلًا ﴾ [١٦ -١٨ -٢٠- ٦٠]/ ﴿ يَسِيرًا ﴾ [١٤ -١٩ -٣٠]/ ﴿ جَمِيلًا ﴾[٢٨ -٤٩]/ ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ [٢٣-٦٢]/ ﴿ نَصِيرًا ﴾ [١٧ -٦٥]/ ﴿كَبِيرًا ﴾[٤٧ -٦٨]/ ﴿ وَكِيلًا ﴾[٣- ٤٨]/ ﴿ قَدِيرًا ﴾[٢٧ -٥٥]/ ﴿ مُّبِينًا ﴾ [٣٦ -٥٨].

و هناك معنى دلالى نكشفه حيناً و لانكشفه حيناً آخر. مثلاً بالتامل في فاصلة"قليلاً" المتكررة نفهم أنّ "القليل" يستعمل حين التكلم عن أهل الباطل وعملهم نحو: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[سورة الأحزاب: ١٦] و ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[سورة الأحزاب: ٢٠] فلهذه الكلمة التي يتصف بها أهل النقصان أثر دلالي سلبي وتكرارها يسبب التأكيد و المبالغة الأكثر في هذه السلبية.

٤- النتائج:

قد عالجنا في هذا البحث نظام الفاصلة في كل من سورتي النور و الأحزاب بصورة كاملة و سعينا إلى أن نكشف جماليتها و دلالاتها فيهما؛ فحروف الفواصل في سورة النور تكون من نسق الحروف المجهورة، و لكن لا تقتصر الشبكات العلاقية الصوتية على التماثل في صفة الجهر، بل بينها علائق صوتية أخرى(الغنة و المائعة) تزيد من تلاحم هذه الشبكات في النسق الصوتي. و أما الفاصلة في سورة الأحزاب فتكون من نوع المماثلة الذي يلازمه الألف المدي مع التنوع في الحرف السابق لها، و اختتام الآيات بالألف المدي يعطي الفرصة للتامل و التأني و الهدوء.

ثم شاهدنا فيهما دقائق أخرى منها:

رعاية الفواصل: تراعي الفواصل فيهما بالتقديم و التأخير، و الازدياد.

الإنزياح: نرى العدول عن نظام الفاصلة فى السورتين لأسباب دلالية و سياقية.

التجانس: نرى فيهما التجانس التام و الناقص لتقوية موسيقى الكلام و انسجامه

و قوة تلقيه.

التكرار: التكرار الموجود في السورتين يشدد الموسيقى و الترابط و انسجام الآيات.

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن جني، أبوالفتح، (٢٠٠١م)، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي عامر، ط١، بيروت، دارالكتب العلمية.

٢. ابن عاشور، محمد بن طاهر، (لاتا)، التحرير و التنوير.

٣. ابن عطيه الاندلسي، عبد الحق بن غالب، (١٤٢٢ق)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤. أنيس، إبراهيم، (١٩٨٤)، الأصوات اللغوية، ط٥، مصر، مكتبة الانجلو المصرية.

٥. الأهل، عبد العزيز سيد، (١٩٥٣م)، موسيقى الفاصلة، الآداب، السنة الأولى، أغسطس، العدد ٨، ٢٥-٢٦.

٦. بزيو، أحمد، (٢٠٠٦ -٢٠٠٧م)، خصائص الأسلوب في سورة النمل، مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الأخضر جمعي، جامعة الجزائر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها.

٧. بلقاسم، دفة، (٢٠٠٩م)، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم؛ دراسة دلالية.

٨. حسان، تمام، (١٩٩٣م)، البيان في روائع القرآن، ط١، القاهرة، عالم الكتب.

٩. حكيميان، ابو الفتح، (١٣٨٣هـ.ش)، القرآن و فواصل آيات، گلستان قرآن، نيمه دوم خرداد، شماره ١٧٧، صص ٢٢ -٢٥.

١٠. خرقاني، حسن، (١٣٧٥هـ. ش)، سجع و فواصل آيات، علوم و معارف قرآن، شماره ٣، صص ٢٥-٥٥.

١١. الخضري، محمد أمين، (١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ)، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، القاهرة، مكتبة وهبي.

١٢. الرافعي، مصطفى صادق، (١٩٧٣م/ ١٣٩٣هـ)، إعجاز القرآن و البلاغة

النبوية،ط٩،بيروت،لبنان،دارالعربى.
١٣. عبد التواب، رمضان (١٤٠٣هـ)، فواصل الآيات بين المعنى و النغم الموسيقى، منبر الاسلام، السنة الحادية و الأربعون، محرم، العدد ١، صص١٤-١٦.
١٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (١٩٧٢م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
١٥. الزمخشري، محمود (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي.
١٦. السباعي، بيومي (١٣٥٤هـ)، الفاصلة و بداعة الأسلوب، صحيفة دار العلوم، السنة الثانية، ربيع الأول، العدد ١، صص ٣٢-٣٨.
١٧. الصابوني، محمد علي (د. ت)، صفوة التفاسير، ط ٥، بيروت، لبنان، دار القلم، مكتبة جدة.
١٨. الطباطبائي، سيد محمد حسين (١٤١٧ هـ)، الميزان فى تفسير القرآن، ط٥، قم، دفتر انتشارات اسلامى جامعهى مدرسين حوزه علميه قم.
١٩. طلب، علي أحمد (١٤٢٢هـ)، فواصل سورة مريم، دراسة لغوية شاملة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٢٠، الجزء الأول، صص٢١٩ -٣٣٢.
٢٠. طوسي، محمد بن حسن، (د. ت)، التبيان فى تفسير القرآن، تحقيق: با مقدمه شيخ آغابزرگ تهرانى و تحقيق احمد قصير عاملى، بيروت، دار احياء التراث العربى.
٢١. عبد الرحمن، مروان محمد سعيد، (٢٠٠٦م)، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف خليل عودة، نابلس، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا.
٢٢. عتيق، عبد الهادي (لاتا)، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، مجلد١٦، عدد٣.